كلمة في الذكرى الثلاثين
لوفاة علاّمة الشام والوطن العربي
المرحوم الأمير مصطفى الشهابي
في 13 / 5 / 1968

الدكتور عبد اللطيف عبيد

في الثالث عشر من شهر أيار 1968، أي منذ ثلاثين سنة يوماً بيوم، انتقل إلى مغفرة الله وواسع رحمته الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي فقيدُ بلاد الشام والوطن العربي، وصاحب الأيادي البيضاء على لغة الضّاد والثقافة والعلم العربيّين، والرئيس الأسبق لمجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو المجامع العلمية واللغوية العربية الأخرى، والمصطلحي والعالم اللغويّ المبرَّز، الذي وضع للوطن العربي واحداً من أغزر المعاجم المتخصّصة مادّة، وأدقّها منهجاً، وأكبرها أثراً في مجال الترجمة والتعريب وتوطين المعرفة العصرية باللغة القوميّة، ألا وهو «معجم الألفاظ الزراعيّة بالفرنسيّة والعربية»، إضافةً إلى ما ألّفه أو عرّبه من مؤلّفات أخرى، مثل «معجم المصطلحات الحِراجيّة»

[* انتخب الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي (١٨٩٣ – ١٩٦٨ م) عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق في ١/ ١٠/ ١٩٢٦م، وأصبح رئيساً للمجمع (١٩٥٩– ١٩٦٨م)/ المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و«المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»الخ ...

لقد قضى المرحوم مصطفى الشهابي عمره يخدم اللغة العربية مثلما أوصى أن يُكتَب على قبره. وإنّ لنا في جهوده المصطلحيّة التنظيريّة والتطبيقيّة لَعِبَراً مُهمّة، يجدر بنا أن نستخلصها ونتأمّل فيها، لنواصل الاهتداء بها في نضالنا من أجل سيادة اللغة العربية في أرجاء الوطن العربي كلّها، وإحلالِها مَحلَّها الطبيعي في الإدارة والجامعة ومختلف نواحي حياتنا الفكريّة والماديّة.

ولعلّ من أهمّ هذه العبر أنّ تَرقيةَ اللغة العربية عامّةً ووضعَ مصطلحاتها خاصّة لا ينفصلان عن السّعي إلى تغيير نظرة المجتمع إليها تغييراً إيجابيّاً، بما يحقّق الاعتزازَ بها، والإقبالَ عليها، وفرضها في كلّ مجالات الحياة. بل إنّ ترقيةَ اللغة لا جدوى منها إذا مابقيت هذه البيئة أو تلك من بيئاتنا العربية مناوئة للغة العربية ومُعرِضةً عنها.

ومن هذه العبر أنّ أَوْلى الناس بالاشتغال بالمصطلحات العربية هم أهل الاختصاص العلمي المتبحّرين فيه، بشرط أن يكونوا من المتفقّهين في لغتهم القوميّة، إضافةً إلى معرفتهم بلغة أجنبية أو أكثر معرفةً كافية.وفي هذا الصّدد فقد كان المرحوم مصطفى الشهابي - وهو العالم الزراعي واللغوي في آن - نموذجاً رائعاً للمُصطلحي العربي الذي نحتاج إليه.

ومن هذه العِبَر أيضاً أنّ وضعَ المصطلحات العربيّة - وخاصة في المجالات العلميّة التي كان للعرب فيها إسهام واضح أو متميّز - ينبغي له أن ينطلق من دراسة واعية للتراث العلمي واللغوي للإفادة منه ربطاً لحاضر اللغة بماضيها، وتجنُّباً للقطيعة اللغوية والحضاريّة، وضماناً لوحدة المصطلح العلمي واستمراريّته، دون أن ينقلب ذلك إلى انطواء على الذات، ورفض للتغير والتجدّد. وفي هذا الصدّد فإنّ ما أحياه المرحوم مصطفى الشهابي من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصطلحات تراثيّة أكثر من أن يُحصى. وقد ساعَدَتْهُ على ذلك نظرة نقديّة ثاقبة لتراثنا، تفيد من إيجابيّاته، ولا تتردّد في اطرّاح سلبياته.

ومن العبر الأخرى - وهي كثيرة - أنّ العمل المصطلحي ووضع المعاجم المتخصّصة ينبغي لهما أن يتأسّسا على قاعدةٍ نظريّةٍ منهجيّة صُلبة قِوامها الخبرة لا الهواية، والدِّرايَة لا مجرّد النّوايا الحسنة. وفي هذا الصّدد كان المرحوم مصطفى الشهابي مطبّقا ومُنظّرا في آن واحد. ولا يزال كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» رائداً في موضوعه وأكثرَ المراجع استخداماً لدى المشتغلين بالمصطلحات العربيّة. ومن أهمّ عناصر المنهجيّة المصطلحيّة لدى المرحوم مصطفى الشهابي أن المفهومَ هو أساس العمل المصطلحي، وأنّ ما نضعه من تسميات مصطلحيّة عربيّة ينبغي له أن ينطلق من استيعاب دقيق واضح للمفهوم الذي تعبّر عنه اللغة الأجنبية، لا مِن ترجمة لغويّة لدلالة ذلك المصطلح الأجنبي.

أمّا آخر العبر التي أودّ أن أذكرها فهي أنّ مسؤوليّة وضع المصطلحات العربيّة مسؤولية جماعيّة، وهي فرض عيْن لا فرض كفاية، لأنّ العربيّة لغةُ جميع العرب، لذلك ينبغي للاجتهادات القطرية والإقليمية أن تصبّ في نهر العربيّة الأكبر، حتّى لا تؤدّي التجزئة إلى القضاء على العروة الوُثقى، التي بقيت تربط بين العرب جميعاً. ومن هذا الجانب فإن المرحوم مصطفى الشهابي قد ألحّ على ضرورة التصدّي الجماعي لقضيّة فوضى المصطلحات العربيّة، التي بدأت تستشري في الخمسينات . ولو طُبِّقت الطريقة التي دعا في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» إلى تبنّيها، لوفّرْنا على أنفسنا كثيراً من عناء البلبلة والجَدَل، وعلى لُغتِنا كثيراً من مظاهر الوَهَن والخَلَل.

رحم الله مصطفى الشهابي، وجازاه خيراً على مابذله من جهد وعمل، وجعلنا أهلاً للانتفاع بما خلّفه من طيّب الثمرات.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net